آيات التحدي بالقرآن الكريم

جمعا ودراسة

د. ناصر بن محمد بن صالح الصائغ

- عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .
- حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بالرياض جامعة أم القرى بتحقيق (الكشف والبيان للثعلبي من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة الشعراء) .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بأطروحته (الترجيح بالسنة عن المفسرين).

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ (آل عمران:١٠٢). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ (النساء:١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (الأحزاب:٧٠ – ٧١) أما بعد :

فإن من حكمة الله ورحمته بخلقه ، أن أرسل إليهم الرسل ، وشرع لهم الشرائع ؛ ليعبدوه على بصيرة ، وليفوزوا بجنته ، وهو الغني الحميد ، وكان من حكمته تعالى أن يؤيد رسله بمعجزات دالة على صدقهم ، مناسبة لحال قومهم ومن جنس ما اشتهروا به .

فبعث الله موسى – عليه السلام – في عصر اشتهر فيه السحر ، وأيده الله بالعصا واليد .

وبعث الله عيسى – عليه السلام – إلى قوم اشتهروا بالطب والعلاج ، وأيده الله بإحياء الموتى وشفاء المرضى .

وبعث الله صالحا – عليه السلام – إلى قوم اشتهروا بنحت الصخور والتفنن في ذلك ؛ وأيده الله بناقة خرجت من الصخر الذي ينحتون منه فهي ليست نحتا ، بل ناقة ذات أكل وشرب وتدر الحليب .

وأرسل الله محمدا ﷺ إلى قوم في غاية من الفصاحة والبلاغة والبيان[١]، وأيده الله بآية عقلية بيانية فاقت ما تميزوا به ، بل إن أثرها لم يكن مرتبطا بوقت محدد ، فهي مستمرة باستمرار الرسالة حتى قيام الساعة . وكان لهذه الآية الأثر الكبير في كثرة أتباع النبي ﷺ ، فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ:(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) [٢].

وهذه الآية هي القرآن الكريم؛كتاب الهداية والإعجاز،ومنارة الهدى والإيمان: ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(المائدة:١٦)

وقد تحدى الله العرب ـ على بلاغتهم وفصاحتهم ـ بأن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذلك . ووقفوا أمامه عاجزين ، وببلاغته منبهرين .

وكانت الآيات التي ورد بها التحدي متفرقة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم مكيه ومدنيه .

فرأيت خدمة للقرآن أن أجمع تلك الآيات التي تحدى الله فيها العرب بهذا القرآن ، ثم أقوم بتفسيرها والوقوف معها ودراستها ، والتي تظهر إعجاز هذا القرآن الكريم ، وإقامة الدليل على إعجازه ؛ لتثبت الدعوى حول مصدره الرباني ؛ فوقع اختياري على موضوع :

---

(١) بلغ من اهتمامهم بالبيان أن عقدوا للكلمة أسواقا يعرضون فيها قصائدهم وخطبهم ومن ذلك سوق المشعر بالبحرين ، وسوق الشحر بين عمان وعدن، وسوق ذي المجاز في عرفة بمكة ، وسوق مجنة، وسوق عكاظ بالطائف ، وسوق حباشة بمكة ، وغيرها من الأسواق .
انظر : المحبر لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ص ٢٦٣ـ٢٦٨ (تصحيح د. إيلرح ليختن).
الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢/ ١٦١ (مطبعة مجلس دائرة المعارف حيدر أباد الهند ١٣٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ح ٤٩٨١ ، و أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ١٥٢ .

آيات التحدي بالقرآن الكريم جمعا ودراسة

وقد دفعني إلى اختياره أمور :

١ - أهمية الموضوع ؛ فهو في إثبات إعجاز القرآن .

٢- أن كثيرا من علماء التفسير وعلوم القرآن ، يشيرون في كتبهم إلى آيات التحدي ؛ فرغبت في جمعها ، ودراستها .

٣- أني لم أقف على من جمع تلك الآيات في كتاب مستقل ، مع كثرة الإشارة إليها والاستدلال بها (١).

---

(١) بعد انتهائي من إعداد البحث ، علمت بأن بحوثا في هذا الموضوع وهي :

- آيات التحدي في القرآن الكريم : الدلالة والإيحاء للدكتور عبدالعزيز العمار، عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام.

ويصف مؤلفه الكتاب بقوله : " أما عن الكتاب، فهو صغير المحتوى، جاء في اثنتين وخمسين صفحة، صدرته بمقدمة عن بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وجعلته مدخلا للحديث عن آيات التحدي في القرآن الكريم، ثم ذكرت أن التحدي عادة مألوفة لدى العرب قبل نزول القرآن وبعده، فمن عادة القوم أن يتحدى بعضهم بعضا في مقارضة الشعر، وتدبيج الخطب، ومن ثم جاء القرآن متوافقا مع طبيعتهم، وما جبلوا عليه.ثم ذكرت مراتب التحدي، ونزول آياتها، أشرت فيه إلى أن تحدي الله لكفار قريش بأن يأتوا بمثل القرآن جاء في مراتب متعددة، ومطالب متنوعة بحسب المقامات، ثم أطلت النفس في مناقشة ترتيب هذه الآيات في النزول، مفندا رأي من يرى أن القرآن تدرج معهم في التحدي من الكثير إلى القليل، ومن الصعب إلى السهل، مبينا أن الصواب في ذلك: أن القرآن حين تحداهم كان يواجه حال المشركين، وينقض شبههم حول القرآن، فكان مقدار التحدي حسب الحالة التي كانوا عليها، فتحداهم حينا بالقرآن، وحينا بعشر سور، وحينا بسورة واحدة، وذلك كله مراعاة للحالة التي كانوا عليها وقت تنزل هذه الآيات.ثم ذيلت هذا القول بذكر العلماء الذي ذهبوا إلى هذا القول، وأخذوا به.ثم كانت لي وقفات طويلة مع إيحاء آيات التحدي ودلالاتها، ويكاد يكون هذا الأمر زبدة هذا الكتاب وخلاصته، وفي وقفات تأملية لهذه الآيات، مدعومة بآراء العلماء، فقد رجعت إلى كلامهم،وأفدت منه، وهي ثامن وقفات.ثم ختمت الكتاب بوقفة بلاغية مع آيتي البقرة المتحدى بها، وهي قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أتناوله في مقدمة ، وتسعة مباحث ، وخاتمة ، وفهارس ؛ فجاءت على النحو التالي :

المقدمة : واشتملت على أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ، ومنهجي فيه.

المبحث الأول : آيات التحدي في القرآن الكريم ، جمعت فيه جميع آيات التحدي ، وقمت بتفسيرها تفسيرا مجملا ، ثم ذكرت عدة ملحوظات وفوائد من تلك الآيات .

المبحث الثاني : التحدي خاص بالقرآن الكريم ، وذكرت فيه أن التحدي خاص بالقرآن الكريم دون الكتب السماوية الأخرى فلم يتحد الله بها البشر .

المبحث الثالث : ذكر المتحدى بالقرآن الكريم ، وذكرت فيه أقوال العلماء في الذين تحداهم الله في تلك الآيات .

المبحث الرابع : بيان وجه التحدي بالقرآن ، وبينت فيه نوع التحدي الوارد في تلك الآيات .

المبحث الخامس : مراحل التحدي بالقرآن الكريم ، وذكرت فيه أقوال العلماء في مراحل نزول آيات التحدي وترتيب آياتها .

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣،٢٤) . وقد سعيت لإظهار شيء من بلاغة هاتين الآيتين،ونكتهما البيانية " .

(http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=١٢٤١٨)

ـ التحدي في آيات الإعجاز للدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري وهو بحث قدمه لمؤتمر الإعجاز الذي انعقد في الثمانينيات في بغداد ، فصل القول وأطال في الحديث عن التحدي . وطبعته مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

ـ دلالة المثلية في آيات التحدي ، للدكتور سعيد جمعة .

ولم أوفق للإطلاع عليها . وإن كان بعضها له وجهة في بحث الموضوع غير الوجهة التي بحثت فيها .

المبحث السادس : القدر المعجز من القرآن الكريم ، وبينت فيه أقوال العلماء في القدر المعجز من القرآن الكريم .

المبحث السابع : الصرفة وآيات التحدي ، وبينت فيه وجه استشهاد العلماء بآيات التحدي على إبطال القول بالصرفة .

المبحث الثامن : بيان موقف العرب أمام آيات التحدي ، وذكرت فيه عجز العرب عن معارضة القرآن مع فصاحتهم وبلاغتهم .

المبحث التاسع : معارضة القرآن ، وذكرت فيه بعض المحاولات لمعارضة القرآن الكريم .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس : وفيها فهرس للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات.

وقد اجتهدت ـ مستعينا بالله ـ في خدمة هذا الموضوع ، سائرا على المنهج التالي :

(١) رجعت إلى كتب إعجاز القرآن ، وكتب علوم القرآن ، ومواضع تفسير الآيات في كتب التفاسير ،وكتب أخرى ، فجمعت المادة العلمية .

(٢) حاولت الاقتصار جاهدا في تفسير آيات التحدي ، بما يعين على فهمها.

(٣) اجتهدت في عدم إثقال الحواشي بالتراجم ، إلا من كان غير مشهور.

(٤) رجحت ما يمكن ترجيحه بعد البحث والتنقيب وجمع الأقوال ومناقشتها.

(٥) كتبت الآيات بالرسم العثماني ، ذاكرا اسم السورة ورقم الآية فيها.

(٦) ضبطت البحث بالشكل ليعين القارئ الكريم على فهم المراد .

(٧) خرجت الأحاديث مكتفيا بالصحيحين إن كان فيهما وإلا فمن غيرهما مع الحكم عليه.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم،موافقا للمنهج القويم ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول
آيات التحدي في القرآن الكريم

لقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ إلى قومه ، وأمره بأن يبلغ رسالة ربه، وأن يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يؤمنوا برسالته ويتبعوه .

وأيد رسوله ﷺ بآيات دالة على صدقه ، وأنه مرسل من عند ربه ، وكان من أعظمها القرآن الكريم ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت : ٤٢) . إلا أن هؤلاء الكفار لم يسلموا له بذلك فكذبوه ورفضوا دعوته . محتجين بأنه بشر مثلهم ، وأنه كاذب ومفتر،إلى غير ذلك من كذبهم وافترائهم.قال تعالى :﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾(ص ٤) ، وقال عنهم سبحانه : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ (ص ٧-٨) بل وأنكروا أن يكون القرآن كلام الله ، وقالوا عنه سحر ، وشعر ، وكذب وافتراء ، وأنه كلام بشر وغير ذلك من الأباطيل ، بل وزعم هؤلاء الكفار أنهم قادرون على الإتيان بمثله ، إذا شاءوا ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنفال :٣١) .

وحيث إن هؤلاء الكفار زعموا أنهم قادرون على الإتيان بمثله ، فقد واجه القرآن هذا الزعم بالتحدي ، فقد تحداهم الله أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

والتحدي : " هو أن يحدوهم ، أي يدعوهم فيبعثهم إلى أن يعارضوه ، فيقال فيه: حداني على هذا الأمر أي : بعثني عليه ، ومنه سمي حادي العيس، لأنه بحداه يبعثها على السير " (١) .

"والمستفيض على ألسنة الناس اليوم ، والمبثوث في كل كتاب أن التحدي: أن تفعل أنت فعلا ، ثم تطلب من خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله ، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل ، طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مساماتك ، أو غلبتك ، أو الظهور عليك. وهذا هو المعنى المقصود عند ذكر الأنبياء، وتحديهم الناس بمعجزاتهم " (٢) .

وقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس سور منه : في سورة البقرة ، وفي سورة يونس ، وفي سورة هود ، وفي سورة الإسراء ، وفي سورة الطور .

وزاد بعض العلماء موضعا آخر في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص : ٤٩ ـ ٥٠) .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية ليست من آيات التحدي لأن الله لم يطلب من المشركين الإتيان بكلام مثل القرآن ، ولا تأليف كتاب مثل القرآن ، من عند أنفسهم ،بل طلب منهم أن يأتوا بكتاب من عند الله ـ وليس من عندهم ـ وذلك

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧٦ .

(٢) وتسمية هذا الأمر بالتحدي محدث مولد ، ليس في كتاب الله ولا في حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نجده في كلام أهل القرنين الأول والثاني من الهجرة . وظهر بعض الظهور في كلام أهل القرآن الثالث ، ثم استفاض بعد ذلك ، وأقدم من ذكر التحدي بهذ المعنى المحدث هو أبو عثمان الجاحظ ١٥٠-٢٥٥هـ ولا سيما في رسالته (حجج النبوة)، ولفظ التحدي نجده مقترنا بلفظي الإعجاز و المعجزة . والتحدي أسبق الثلاثة وجودا في لغة المتكلمين ".

بتصرف من مداخل إعجاز القرآن لمحمود محمد شاكر ص ٢٠و ٢١-٢٣.

بأن يكون فيهم رسول ينزل الله عليه كتابا هو أهدى من التوراة والقرآن، ليتبعه ويهتدي به . وهذا غير تحديهم بأن يؤلفوا هم كتابا مثل القرآن [١].

وفي هذا المبحث أورد آيات التحدي في القرآن الكريم بحسب ترتيبها في المصحف مع شيء من تفسيرها فأقول مستعينا بالله :

التحدي الأول :

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة : ٢٣،٢٤) .

تفسيرها : جاءت هذه الآيات مناسبة للآية التي قبلها، ووجه المناسبة ، أنه سبحانه وتعالى لما أقر التوحيد ، وأبطل الشريك في الآية السابقة لها ؛ شرع في تقرير نبوة محمد ﷺ ، وإقامة الحجج على صدق نبوته والتي من أعظمها القرآن الكريم .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ ﴾ أي أيها المشركون بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾. وقولـــه : ﴿ فِي رَيْبٍ ﴾ أي في شك وقلق : ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ المراد به القرآن الكريم ، وفي الإتيان بلفظ التنزيل دون الإنزال ؛ لأن المراد النزول على سبيل التدرج ، وهذا اللفظ لائق بهذا المكان؛ لأنهم كانوا يقولون لو كان من عند الله لنزل جملة واحدة ولم ينزل منجما . كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الفرقان : من الآية ٣٢) .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للدكتور صلاح الخالدي ص٥٢.

قال الفيروزابادي رحمه الله:" والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة:أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله مفرقا منجما ومرة بعد أخرى ، والإنزال عام "[1].

﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ هو محمد ﷺ : ﴿ فَأْتُواْ ﴾ أمر تعجيز وتحد ﴿ بِسُورَةٍ ﴾ جاءت سورة هنا منكرة وهي تفيد العموم ،فتشمل أي سورة كانت .

﴿ مِّن ﴾ هنا صلة كقوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور:من الآية٣٠) .

وإتيان ﴿ مِّن ﴾ هنا في آخر آيات التحدي نزولا ، فيه إشارة إلى التنزل معهم من الأخف فالأخف ، فقد تنزل معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل ،كأنه يقول :لا أكلفكم بالمماثلة العامة ، بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ومطلقها. وبها يكون مثلا على التقريب لا التحديد، وهذا أقصى ما يمكن من التنزل [2].

ويحتمل أن تكون ﴿ مِّن ﴾ لبيان الجنس[3].

﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ الضمير(الهاء) عائد إلى (ما) في قوله: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾ ، والمعنى:من مثل القرآن الذي جاءكم به محمد ﷺ ، وهذا القول قاله : مجاهد وقتادة [4] ، واختاره الطبري والرازي، ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ،

---

(١) انظر:بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ٥/ ٤٠،المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) انظر: النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨٤ .

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٠١ ، معالم التنزيل للبغوي ١/ ٧٢ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٣٩٧ بسنده عنهما .

والحسن وأكثر المحققين . واختاره القرطبي وابن كثير ، ونسبه ابن عطية للجمهور [١] .

وقيل:الضمير (الهاء) عائد إلى ﴿ عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾ أي من مثل محمدﷺ يعني من رجل أمي مثله. والراجح القول الأول ، ويدل على ترجيحه وجوه :

١ - أن رجوعه للقرآن مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدي لاسيما آية سورة يونس: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ (يونس : ٣٨)

٢ - أن الكلام يدور حول المنزل ، وهو القرآن ؛ لأنه قال : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾ ، فوجب صرف الضمير إليه .

٣- أنه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميهم وكاتبهم، وذلك أكمل في التحدي وأشمل، من أن يتحدى آحادهم الأميين، ممن لا يقرأ ولا يكتب شيئا.

قال السخاوي[٢] رحمه الله: " وأما من قال : إن الهاء تعود للنبي ﷺ ... فكلام من ركب الخطر ، ولم يمعن النظر ، لأن كلامه يقتضي أن بعض الناس يقدر على الإتيان بمثله ، وهم العلماء بالسير والممارسون للكتب وهذا يبطله قوله عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾ (الإسراء ٨٨)[٣] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٩٧ ، معالم التنزيل البغوي ١/ ٧٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٠١ ، تفسير الرازي ٢/ ١٢٩ ، تفسير ابن كثير ١ / ٦٣ ، تفسير القرطبي ١ / ٢٣٢ .

(٢) هو : محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين السخاوي الأصل القاهري الشافعي ، فقيه مقرئ محدث مؤرخ ، توفي سنة ٩٠٢هـ .

انظر: الأعلام ٦/ ١٩٤، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٣/ ٢١٤٦.

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء ١/ ٤٧ .

وقوله : ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي من مثل القرآن في البيان ، لا في التأليف والمعاني ، التي باين بها سائر الكلام غيره ، فإنه لا مثل له من هذا الوجه ، ولا نظير ولا شبيه . قاله الطبري [1] .

﴿ وَٱدْعُواْ ﴾ استنصروا واستغيثوا . ﴿ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أعوانكم ومن تشهدون له بالإلوهية ليساعدوكم في الإتيان بمثله .

وفي هذا تحد للعابد والمعبود وهو غاية ما يكون من التحدي .

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن هذا القرآن مفترى على الله، وفي أنكم قادرون على الإتيان بمثله كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال:من آية٣١) ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ إن لم تأتوا بسورة من مثله فيما مضى.﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ أبدا فيما بقي ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ وفيها دلالة على أن من عارض القرآن فمأواه النار [2].

التحدي الثاني :

قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس:٣٨).

تفسيرها : جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (يونس : ٣٧) ، والتي تفيد أنه ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١ / ٣٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٩٦-٤٠٦ ، معالم التنزيل للبغوي ١/ ٧٢ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٣١ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٥٢ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢/ ١٢٥.

يختلق من دون الله ، فهو لا يكون إلا من عند الله ، وأنه مطابق ومصدق لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة ، وموافق لها ، وأنه لاشك أنه من عند الله . ثم بعدها تحداهم بهذه الآية ، فقال : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ﴾ الهمزة للإنكار ، والمعنى : بل يقولون ، وقيل : أم بمعنى الواو ، أي : ويقولون . ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ اختلق محمد القرآن ، وافتعله من قبل نفسه . ﴿ قُلۡ ﴾ يا محمد ، متحديا لهم ومعجزا . ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ مثل القرآن في الفصاحة ، والبيان ، وحسن النظم ، وقوة المعنى .

قال الطبري رحمه الله : " ولم يقل مثلها : لأن الكناية أخرجت على المعنى، أي معنى السورة ، لا على لفظها " [1]. وأنكر ذلك ابن عطية بقوله: " وهذا وهم بين لا يحتاج إليه " [2].

﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم ﴾ أيها المشركون ، ادعوا من قدرتم أن تدعوا من أوليائكم ، وشركائكم ، ومعبوديكم ؛ ليعينوكم ، ويساعدوكم على ذلك ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ سوى الله ، أو غيره ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في أن هذا القرآن مفترى من عند محمد ﷺ [3].

التحدي الثالث :

قوله تعالى في سورة هود : ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ (هود : ١٣) .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٨٣ .

(٢) انظر:المحرر الوجيز ١/ ٢٥٢.

(٣) انظر:جامع البيان للطبري ١٢/ ١٨٢ – ١٨٣ ، معالم التنزيل للبغوي ٤/ ١٣٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٣٤٤ مفاتيح الغيب للرازي ١٧/ ٩٨ ، التفسير المنير للزحيلي ١١/ ١٧٥ .

تفسيرها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أيقول المشركون ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلق وتكذب ما يوحى إليه ، وهو القرآن ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ مثل القرآن ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ مفتعلات مختلقات .

واختلف المفسرون في المتحدى به في هذه الآية : فذهب الأكثرون إلى أنه قدر عشر سور تماثل القرآن في نظمه ومعناه ، والمراد بالمعنى : ما يتضمنه القرآن من أخبار عن الغيب ، ووعد ووعيد ، وحكم وأحكام .

وذهب آخرون إلى أن المطلوب في المتحدى به ، هو مماثلة القرآن في حسن النظم والبيان فحسب ، دون المغيبات والحكم والأحكام، والوعد والوعيد ، والأمثال .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الراجح هو القول الثاني ، وأن المتحدى به في هذه الآية : عشر سور تماثل القرآن في حسن النظم والبيان، وذلك بدليل قوله تعالى بعدها : ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ .

وقوله هنا: ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ لأجل ألا يظن المتحدون أنهم مطالبون بالمثلية في جميع الوجوه (فإنهم قالوا لا علم لنا بها في القرآن من الأخبار الخالية ، والقصص السالفة ؛ فقيل لهم : مفتريات إزاحة لعللهم ، وقطعا لأعذارهم ؛ فعجزوا) [1] .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن السور التي وقع بها طلب المعارضة لها ، هي سور معينة ، وهي : (سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، والتوبة ، ويونس ، وهود) مفسرا هذا بالمثلية في قوله : ﴿ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ . وهذا القول غير صحيح ؛ لأن : (هذه السور أكثرها

(١) انظر : البرهان للزركشي ١/ ١١١ .

مدني فكيف يصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل ، ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس) قاله : أبو حيان [١] .

قوله : ﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ غيره إلى المعاونة ، والمعارضة ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أنه مفترى [٢].

التحدي الرابع :

قوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

تفسيرها : ذكر الطبري رحمه الله بصيغة التمريض ، وأسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره ، شاهدة له على نبوته ؛ لأن هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به [٣] .

وفي هذا نظر ؛ لأن هذه السورة مكية ، وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة فالله أعلم . قاله ابن كثير [٤] رحمه الله .

﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ﴾ واتفقت ﴿ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾ وهذا دليل على أن الجن متحدون كذلك كما سيأتي [٥] ، وقدم الإنس على الجن هنا ، لأن الإعجاز منهم أظهر ، والخطاب إليهم أخص .

---

(١) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ١/ ١٠٤ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١٢/ ٣٤٣- ٣٤٤ ، معالم التنزيل٤/ ١٦٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٢، المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٥٢، مفاتيح الغيب للرازي١٧/ ٢٠٢، التفسير المنير١٢/ ٣١.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٧٥ .

(٤) انظر: تفسيره ٣/ ٦٦.

(٥) انظر: ص ٢٥ .

﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ ﴾ جواب للقسم في ﴿ لَّئِنِ ﴾ . ﴿ بِمِثْلِهِۦ ﴾ أي بمثل القرآن فلا يستطيعون ذلك ، وكيف يشبه كلام المخلوق كلام الخالق الذي لا نظير له ، ولا مثال له،ولا عديل له ؟!!. ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ معينا ومظاهرا، مثل تعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه . فإنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن [1] . والآية وإن كانت خبرا إلا أن هذا الخبر متضمن معنى التحدي ، وقد أنكر بعض المعاصرين أن تكون هذه الآية من آيات التحدي . حيث يرى أنها إخبار من الله ، وليس تحديا لهم [2] .

التحدي الخامس:

قوله تعالى في سورة الطور : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور : ٣٣ و٣٤) .

تفسيرها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أي هؤلاء المشركون ﴿ تَقَوَّلَهُۥ ﴾ اختلق وافترى القرآن محمد ﷺ من عند نفسه ، والتقول : تكلف القول ، ويراد به الكذب غالبا . ﴿ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ جحدا واستكبارا . وكفرهم هذا هو الذي حملهم على هذه المقالة ، ثم ألزمهم الحجة ؛ فقال : ﴿ فَلْيَأْتُواْ ﴾ أي هؤلاء المشركين ، وهو أمر تعجيز ، وتحد ﴿ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ مثل القرآن ، ونظمه ، وحسن بيانه ، من تلقاء أنفسهم ، فإنهم أهل لسان محمد ﷺ ولن يتعذر عليه أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد ﴿ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ في دعواهم أن محمدا تقوله ، وافتراه من عند نفسه [3].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٧٥، معالم التنزيل للبغوي ٥/ ١٢٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى١٠/ ٣٢٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/ ٦٦.

(٢) هو د.صلاح الخالدي، كما في إعجاز القرآن البياني له ص ٥٢ .

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٢١/ ٥٩٦، معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٣٩٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٧/ ٧٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/ ٢٦٠

وبعد هذا التفسير الموجز لآيات التحدي ، نلحظ ما يلي :

١- أن آيات التحدي شملت القرآن المكي والمدني ، فهي في سور يونس ، وهود ، والإسراء ، والطور ، وهي مكية ؛ وفي سورة البقرة ، وهي مدنية . وكان التحدي في العهد المكي أكثر منه في المدني ، فقد ورد التحدي في العهد المكي في السور : يونس ، وهود ، والإسراء ، والطور ، ثم تكرر التحدي في العهد المدني كما في سورة البقرة .

٢- أن آيات التحدي يسبقها الحديث عن تشكيك الكافرين في القرآن، وأنه من عند محمد ؛ فتأتي آيات التحدي لإبطال هذا الزعم .

٣- أن آيات التحدي يتبعها إثبات مصدر القرآن ، وتقرير أنه كلام الله ، أوحى به إلى عبده ورسوله محمد ﷺ .

٤- تكررت كلمة ﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ في كل آيات التحدي ، والمراد بالمثلية: المثلية في الفصاحة والبيان ، ووردت في سورة البقرة مسبوقة بـ ﴿ مِّن ﴾ وسبق بيان معناها .

٥- كانت نتيجة هذا التحدي أن الكفار عجزوا عن الإتيان بالمطلوب ، ودل عجزهم على أن القرآن كلام الله ، وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله [١].

٦- أن جميع آيات التحدي ورد التحدي فيها بلفظ الإتيان ﴿ فَلْيَأْتُواْ ﴾ ولم يقل : فليقولوا ، وفي هذا توسيع للعرب في التحدي حيث فتح المجال لهم في المعارضة بأي طريقة كانت ، ولم يشترط أن يكون من قولهم ، فلهم الحق بالرجوع إلى موروثهم الجاهلي ، وغيره .

٧- لم يكن المطلوب منهم في التحدي الإتيان بمثل القرآن مطابقا لمعانيه ، وإنما المطلوب مثله في البيان فقط ، ولا يهم إذا كان المعنى مفترى ، أو مختلقا ، أو كذبا .

(١) انظر: إعجاز القرآن البياني للخالدي ص ٥٦.

٨ـ تحدى الله العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ؛ لأن لديهم القدرة على الفصل بين كلام البشر ، وكلام غيرهم .

٩ـ أن التحدي بالقرآن كان موجها للكافرين بالنبي ﷺ ، والذي يدل عليه سياق آيات التحدي ، فإن آيات التحدي كان يسبقها تسجيل تكذيب الكفار للنبي ﷺ. وقد عجز الكافرون عن المعارضة ، وعجزهم ـ وهم أهل الفصاحة والبيان ـ يدل على عجز غيرهم . وآية سورة الإسراء أفادت شمول التحدي لكل المخلوقات ؛ فالكل عاجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

قال ابن كثير رحمه الله : (وهذه أيضا معجزة أخرى ، وهو أنه أخبر خبرا جازما قاطعا مقدما غير خائف ولا مشفق ، أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، وكذلك وقع الأمر ، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن) [١] .

١٠ـ التحدي في سورة البقرة غيره في سورة الإسراء ، ففي سورة البقرة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ نجد ضمير الجلالة بدلا من فعل الأمر (قل): ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ وهذا يجعل التحدي من الله في سورة البقرة بدلا من أن يكون من الله بواسطة الرسول في سورة الإسراء ، أو في سورة يونس ، ولذا كانت آية البقرة المدنية خاتمة لآيات التحدي .

١١ـ رتب بعضهم آيات التحدي على النحو التالي :

– قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٦٣ .

مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة القصص: ٤٩ – ٥٠).

- ثم قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ (آية ٨٨ سورة الإسراء).

- ثم قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (آية ٣٨ سورة يونس).

- ثم قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (آية ١٣ سورة هود).

- ثم قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (آية ٣٤ سورة الطور).

- ثم قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (آية ٢٣-٢٤ سورة البقرة).

ثم قال: ويلاحظ أن التحدي قد تتابع ما بين السور ٥٠ و٥١ و٥٢ - يعني سورة الإسراء، وسورة يونس، وسورة هود - والسبب في ذلك هو اشتداد البلاء عليه صلوات الله وسلامه عليه من سفهاء قومه بعد وفاة عمه أبي طالب، ووفاة أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بعده بقليل - رضي الله عنها -، فتتابع نزول آيات التحدي خلال هذه الفترة حتى الهجرة، فكان وقعه على المشركين أشد من الصواعق، وأقوى من الموت[1].

(١) القرآن يتحدى ص ١٣٧.

كشاف تفصيلي لآيات التحدي في القرآن

م	آيات التحدي	السورة	نوعها	رقم الآية	ترتيب السورة حسب المصحف	ترتيب السورة حسب النزول	التحدي
١	﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾	البقرة	مدنية	٢٣-٢٤	٢	٨٧	الإتيان بسورة من مثله
٢	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾	يونس	مكية	٣٨	١٠	٥١	الإتيان بسورة مثله
٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾	هود	مكية	١٣	١١	٥٢	الإتيان بعشر سور مثله
٤	﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾	الإسراء	مكية	٨٨	١٧	٥٠	الإتيان بمثل هذا القرآن
٥	﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾	الطور	مكية	٣٣-٣٤	٥٢	٧٦	الإتيان بحديث مثله

المبحث الثاني
التحدي خاص بالقرآن الكريم

لقد بعث الله أنبياء ورسلا إلى أقوامهم ، فدعوهم إلى عبادة الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥)،وقد جاء هؤلاء الرسل بآيات بينات ، ومعجزات باهرات دالة على نبوتهم ، ومصدقة لهم في رسالتهم ، ومؤيدة لهم من الله تعالى ، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ ﴾ (الروم : ٤٧) وقال سبحانه : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ (الحديد:٢٥) وقد كانت هذه الآيات المادية دالة على صدق من جاء بها ، لعجز أي أحد من البشر عن الإتيان بمثلها .

كما أنزل الله على بعض أنبيائه كتبا سماوية لهداية أقوامهم ، إلا أنها لم تكن تنزل على الأنبياء معجزة لهم تؤيدهم في دعوتهم ، وإنذار قومهم ، مثل المعجزات المادية الأخرى ، التي أيدوا بها ، كقلب العصا حية ، وفلق البحر ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، ونحو ذلك . وإنما كانت تنزل للهداية والتعبد بأوامرها ونواهيها ، والاسترشاد بها ، والاحتكام إليها عند التنازع والاختلاف .

أما القرآن الكريم فقد نزل على النبي ﷺ للهداية ، وكذلك مؤيدا له في دعوته ، دالا على صدقه . فأصبح القرآن معجزة النبي ﷺ ، ومعنى إعجاز القرآن: " هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن ، وقصورهم عن الإتيان بمثله ، رغم توافر ملكتهم البيانية ، وقيام الداعي على ذلك ، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك " (١).

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني للدكتور صلاح الخالدي ص١٧ .

ومما يدل على أن كتب الأنبياء السابقين لم يقع الإعجاز والتحدي بها مثل القرآن ما يلي :

١ـ أن الله ذكر في كتابه قصص الأنبياء مع أقوامهم ، ومحاورتهم لهم ، وما أيدوا به من الآيات ، وأفاض القرآن في ذكر هذه القصص ، مثل قصة نوح وموسى عليهما السلام ، ولم يرد في موضع واحد أنهم حاجوا أقوامهم بكتبهم المنزلة ، وتحدوهم وأعجزوهم عن الإتيان بمثلها ، وهذا يدل على أنها لم تكن موضعا للتحدي .

أما القرآن الكريم فقد ذكر التحدي به أكثر من مرة حتى في السور المدنية كسورة البقرة .

٢ـ ويدل على ذلك أيضا قول النبي ﷺ : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله لي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " [١].

فإن النبي ﷺ غاير معجزته عن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وخص معجزته بكونها وحيا أوحي إليه ـ وهو القرآن ـ ومن المعلوم أن الأنبياء أنزل على طائفة منهم كتبا مثل النبي ﷺ ولم يكن لها خاصية الإعجاز كما يلمح إليه الحديث ، فعلم أن الإعجاز والتحدي إنما هو من خصائص القرآن الكريم .

يقول ابن كثير رحمه الله معلقا على هذا الحديث : " وقوله : (وإنما كان الذي أوتيته وحيا) أي : الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه ، بخلاف غيره من الكتب الإلهية ، فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم " [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ح ٤٩٨١ ، و أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ح ١٥٢ .

(٢) تفسير ابن كثير لسورة البقرة آية ٢٣.

وانظر: رسالة علمية بعنوان : (فضل القرآن دراسة موضوعية) د. عبدالسلام الجارالله ص ٣٥٠ .

وبناء على ما سبق فإن الإعجاز والتحدي خاص بالقرآن الكريم دون ما سواه من الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين ، ولا يعني هذا عدم اشتمال تلك الكتب على شيء من وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها القرآن ، بل فيها بعض الوجوه المعجزة المذكورة للقرآن مثل الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلة ، وكاشتمالها على التشريعات الملائمة لمن أنزلت عليهم إلا أنها لم تكن للتحدي .

يقول الطبري رحمه الله لما ذكر أن التوراة والإنجيل والزبور نزلت ببعض المعاني التي نزل بها القرآن قال : " لا معجزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق " [(١)] .

(١) جامع البيان ١/ ٢٠٠ .

المبحث الثالث
المتحدى بالقرآن

وبعد هذا العرض لآيات التحدي في القرآن ،وذكر أن التحدي خاص بالقرآن الكريم ، نقف في هذا المبحث مع تساؤل قد يرد ، ألا وهو : من الذين تحداهم الله بهذه الآيات ؟ فأقول :

ذهب بعض العلماء ومنهم الزركشي[1] رحمهم الله إلى أن التحدي إنما وقع للإنس دون الجن ، مستدلا على ذلك بأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، وإنما ذكروا في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ (الإسراء : من الآية ٨٨) تعظيما لإعجاز القرآن لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة ما ليس للأفراد[2] .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الجن متحدون بالقرآن أيضا .

فإن الله عز وجل قال:﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ فإنه شامل للإنس والجن بدليل قوله تعالى بعدها ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .والجن أيضا أرسل إليهم الرسول ﷺ مثل الإنس،وقولهم:إن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي قول غريب ؛ فكيف لا يكونون من أهل اللسان العربي والله يقول: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ الآيات. (الأحقاف:٢٩-٣٢) فإنهم فهموا القرآن ووعوه ، ثم عادوا دعاة رشد وهداية لأقوامهم ، ثم إن الرسول ﷺ يقول : "إنه أتاني داعي الجن، فأجبتهم

---

(١) هو:محمد بن عبدالله بن بهادر ، أبو عبدالله ، بدر الدين الزركشي، فقيه أصولي أديب، صاحب: البرهان في علوم القرآن ، مات في مصر سنة ٧٩٤هـ .
انظر:الدرر الكامنة ٤/ ١٧، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٥٨.

(٢) انظر : البرهان للزركشي ٢/ ١١١ ، التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٢٠٣ .

أقرؤهم القرآن "[١]. وغير ذلك من الأدلة والتي تثبت سماع الجن للقرآن ، وفهمهم له ...كما أن هذا القول تخصيص بلا مخصص ، يقول ابن حزم رحمه الله: " وكذلك قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ (الإسراء:من الآية٨٨) عموم كل إنس وجن أبدا ، لا يجوز تخصيص شيء من ذلك بغير نص ولا إجماع " [٢].

وعلل أبو حيان[٣] ـ رحمه الله ـ في تفسيره سبب تحدي الجن مع الإنس بقوله :"ولما كانت الجن تفعل أفعالا مستغربة كما حكى الله عنهم في قصة سليمان أدرجوا مع الإنس في التحدي ليكون ذلك أبلغ في التعجيز... " [٤].

فالقرآن معجز لكافة المخلوقين من الإنس والجن حتى قيام الساعة .

والتحدي بالقرآن أيضا عام للعرب ولغيرهم في زمن نزول القرآن إلى قيام الساعة " فالقرآن ليس معجزة موقوتة بالفترة التي نزل فيها ، ولا محصورة في القوم الذين دعوا إلى هذا التحدي ، وإنما القرآن معجزة قائمة على الزمن كله ، وعلى الناس جميعا في أجيالهم المتعاقبة " [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الصلاة ح ٤٥٠، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير ٢/ ٤٦٦وغيرهما .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٣/ ٢٦ ، علوم القرآن لحازم سعيد ٢٨٠و٢٨٧.

(٣) هو:محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي،أثير الدين، أبو حيان ، نحوي ، لغوي ، مفسر ، مقرئ ،إمام عصره في النحو واللغة،صاحب البحر المحيط في التفسير توفي بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ.

انظر: طبقات الشافعية للسبكي٩/ ٢٧٦، الأعلام٧/ ١٥٢، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير٣/ ٢٥٠.

(٤) انظر : البحر المحيط ٥/ ٢٠٨ .

(٥) إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ١/ ٢١٥.

وقد عد الرماني رحمه الله[١] من وجوه الإعجاز القرآني: (التحدي للناس كافة)[٢].

وهذا العموم للتحدي يفهم من قوله: ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٤) ،وقوله: ﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (هود: ١٣) ، فالتحدي شامل لكل ما يمتد عليه ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الراغبين في المعارضة ، ولهم أن يحشدوا من شاءوا من الأنصار ، ويستعينوا بما شاءوا من مخترعات ولو كانت العقول الإلكترونية . ومن قصر التحدي على العرب ، وجعل عجزهم دليلا تفصيليا على عجز العالمين عن المعارضة فإنه لا يستند إلى النص القرآني الصريح الموجه إلى العالمين جميعا ، كما أنه يتناقض مع عموم الرسالة الذي يقتضي عموم التحدي[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ قال : " ﴿ وَلَن ﴾ لنفي المستقبل ، فثبت للخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان ، لا يأتون بسورة من مثله ،كما أخبر قبل ذلك ، وأمره أن يقول في سورة سبحان،وهي سورة مكية ، افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر،وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة ما يبين ذلك بقوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء:٨٨).

فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع الخلق ، معجزا لهم ، قاطعا بأنهم إذا اجتمعوا كلهم ، لا يأتون بمثل هذا القرآن ، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك،

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي المعروف بالرماني المعتزلي أبو الحسن ، نحوي لغوي مفسر مقرئ، شيخ العربية ، وأستاذ علوم اللغة في عصره ، توفي سنة ٣٨٤هـ.
انظر : الأعلام ٤/ ٣١٧، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٢/ ١٦٣٦ .

(٢) إعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب ١/ ٢١٥.

(٣) انظر : القرآن يتحدى ص ١٥٥.

وهذا التحدي والدعاء ، هو لجميع الخلق ، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه العام والخاص ، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه ، ولا أتوا بسورة مثله ، ومن حين بعث وإلى اليوم ، الأمر على ذلك ، مع ما علم من أن الخلق كلهم كانوا كفارا قبل أن يبعث ، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله،مجتهدين بكل طريق ممكن. تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب، حتى يسألوه عنها ، كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف،وذي القرنين كما تقدم[1]، وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه ، وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس مثله لمجرد شبه ما، مع ظهور الفرق ، فتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: ساحر، وتارة يقولون: كاهن ، وتارة يقولون : شاعر . إلى أمثال ذلك من الأقوال التي يعلمون هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه .

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة، وهي تبطل دعوته ، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، فإنه ـ مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ـ إذا كانت القدرة حاصلة ، وجب وجود المقدور ، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض ، فهذا القدر يوجب علما بينا لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة ، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها؛كإحياء الموتى ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره)[2].

وإذا عجز العرب المعاصرون لزمن نزول الوحي ، وهم أهل الفصاحة والبيان، فعجز من بعدهم أولى فإنه " إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله ، فمن بعدهم أعجز ، لأن فصاحة أولئك في وجوه ما

(١) الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ويعني به ما تقدم ذكره في٤/ ٥٦-٥٨ .

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٧٧ .

كانوا يتفننون فيه من القول مما لا تزيد عليه فصاحة من بعدهم ، وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم ، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا " [١] .

يقول الجرجاني[٢] رحمه الله : " إن الإعجاز يثبت عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، وإن العبرة بعجز العرب المعاصرين دون المتأخرين عن زمان النبوة " [٣] .

---

(١) إعجاز القرآن ، للباقلاني ص ١٩٥ .

(٢) هو: أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني، ، كان عالما واسع الثقافة، كما كان متكلما على مذهب الأشعري، وفقيها على مذهب الشافعي،توفي سنة ٤٧١هـ .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢٦٢ .

(٣) الرسالة الشافية للجرجاني

المبحث الرابع
وجه التحدي بالقرآن

إن سر إعجاز القرآن وحقيقته، أنه كلام الله لا يقدر أحد من البشر أن يقول مثله ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الله تعالى . فإعجاز القرآن خارج عن مقدور البشر أصلا ، فإذا كان كذلك فما وجه التحدي بالقرآن مع العلم بعدم مقدرتهم على ذلك ؟والجواب عن هذا من وجهين :

أولا : أن القرآن نزل هداية للناس ودلالة على نبوة محمد ﷺ ، ولم ينزل للتحدي، وإنما وقع التحدي به مع ورود الطعن والشك فيه ، وعلى هذا تدل آيات التحدي :

فآية سورة البقرة ورد التحدي فيها بالقرآن الكريم بعد ذكر ريب المشركين منه .

وآيتا سورة يونس ، وسورة هود ورد التحدي فيهما بالقرآن الكريم بعد طعنهم في القرآن ، وقولهم إن محمدا ﷺ قد افتراه .

وآية سورة الإسراء ورد التحدي فيها بالقرآن الكريم في سياق ذكر جدلهم وطلبهم الآيات من النبي ﷺ فدل على أن آيات القرآن كافية ، والتحدي بها مغن في قيام الحجة دون قرنه بآيات أخر .

وآية سورة الطور ورد التحدي فيها بالقرآن الكريم بعد طعنهم في القرآن وقولهم أن النبي ﷺ تقوله .

ثانيا : أن التحدي بالقرآن ورد من باب مجاراة الخصم ؛ لإلزامه الحجة ، وقطع المعذرة ، وسد الذرائع من جميع وجوهها ، خاصة وأنهم زعموا القدرة على معارضة القرآن ، وأنهم لو أرادوا أن يؤلفوا مثله لألفوا ، ولكنهم لا يريدون ذلك ، وقد سجل القرآن هذا الزعم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأنفال :

٣١) وهذه الآية وإن كانت في سورة الأنفال المدنية فإن الآية مكية ، فقد ورد أنها نزلت في النضر بن الحارث أحد زعماء قريش ، حينما عاد إلى مكة من بلاد الفرس ، وقد تعلم أخبارهم وحفظ قصصهم وسمع تأريخهم [١] .

فجاء التحدي بالقرآن لإبطال هذا الزعم ، ولبيان أن القرآن حق من عند الله يجب الإيمان به وبمن جاء به ، لذا جاء عقب آيات التحدي بيان انقطاع المكذبين ، وتمام الحجة عليهم ، وأن تكذيبهم بعد التحدي إنما هو جحد ومعاندة ، وأنه ليس لهم بعد التحدي إلا الإذعان ، أو استحقاق العقوبة .

فآية التحدي في سورة البقرة : أخبر بعدها جل وعلا أنه لا سبيل لهم بعد التحدي وعجزهم إلا أن يتقوا النار بالتسليم لله ولكتابه ورسوله وإلا فإنها قد أعدت لهم . قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة : ٢٤) .

وآية التحدي في سورة يونس : أخبر بعدها جل وعلا أن تكذيبهم بعد التحدي وعجزهم هو من جنس تكذيب من قبلهم . فلينظروا إلى عاقبة أولئك ، وليحذروها أن تصيبهم كما أصابتهم . قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (يونس : ٣٩) .

وآية التحدي في سورة هود : أخبر بعدها جل وعلا أنهم إن لم يأتوا بمعارض بعد التحدي فقد انتفى المعارض ، واستقر الدليل على وحدانية الله تعالى ، وأنه المستحق للعبودية وحده ، وأن القرآن من عنده سبحانه ولم يبق بعد ذلك إلا التسليم له ، والإيمان به . قال تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (هود: ١٤) .

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١١/ ١٤٢ ، أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٠ .

وآيـة التحـدي في سـورة الإسراء : أخـبر تعـالى بعـدها أن كفـر النـاس وجحودهم ليس عن قصور بينة ، وعجز في الـدليل ، ولكنـه جحـود للحـق ورد للحجـة ومكـابرة.قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (الإسراء:٨٩).

وآية التحدي في سورة الطور : أخـبر تعـالى بعـدها أن كفـرهم وجحـودهم هـو الحامـل لهـم في الطعـن في القـرآن الكـريم وقـولهم :إن محمـدا ﷺ افـتراه . ثـم تحداهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين في دعواهم . قال تعـالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور : ٣٤) [١] .

(١) انظر : تقييدات في إعجاز القرآن ص ٢٩ .

المبحث الخامس
مراحل التحدي بالقرآن الكريم

لقد جاء التحدي في القرآن الكريم متنوعا ـ كما سبق بيانه ـ فمرة تحداهم بالإتيان بمثل القرآن ، ومرة بعشر سور ، ومرة بسورة منه ، ومرة بحديث مثله . ومن المعلوم أن نزولها كان متفرقا ، لذا اختلف العلماء في ترتيب آيات التحدي على أقوال ، هي :

القول الأول : إن التحدي جاء معهم من الأصعب إلى الأسهل ، ومن الكثير إلى القليل .

فتحداهم أولا بأن يأتوا بمثل القرآن من غير تحديد قدر معين ،كما في سورة الطور : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾ .

فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، كما في سورة هـود : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (١٣) ﴾.

فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ،كما في سورة يونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٣٨) ﴾.

فلما عجزوا أكد عليهم التحدي بالإتيان بسورة واحدة من مثل القرآن ، وأكد عدم مقدرتهم على ذلك ،كما في سورة البقرة ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ (٢٤) ﴾ .

ثم سد عليهم منافذ القول كما في آية الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ .

وهـذا القـول قـال بـه أكثـر العلـماء وممـن ذكـر هـذا الترتيـب : الزركـشي ، وتبعـه السيوطي ، وقال به الفخر الرازي ، وغيرهم رحم الله الجميع [١] .

وقالوا مؤيدين ما ذهبوا إليه من هذا التسلسل : إن العقـل والمنطـق يحتـمان هذا الترتيب ، فهو بمثابة من يقول لصاحبـه : اكتب مثـل مـا أكتـب ، فـإذا عجـز قال : اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب ، واستعن بها شئت من الناس ، فإن عجـز قال له في آخر الأمر : قد اقتصرت منك على سطر واحد ، فإذا ظهر عجـزه حـال الإنفراد ، وحال الاجتماع والتعاون ، تبين عجزه عن المعارضة على الإطلاق [٢].
يقول الفخر الرازي رحمه الله : " واعلم أن التحدي بعشر سـور لابـد وأن يكـون سابقا على التحـدي بـسورة واحـدة ، وهـو مثـل أن يقـول الرجـل لغيـره : اكتـب عشرة أسطر مثل ما أكتب ، فإذا ظهر عجزه عنه ؛ قـال : قـد اقتـصرت منهـا عـلى سطر واحد مثله " [٣] .

يقول محمد رشيد رضـا رحمـه الله:" وهـذا الترتيـب لم يـصح بـه نقـل، بـل المــروي في ترتيــب الــسور يخالفــه ، فــإن ســورة هــود نزلــت عقــب ســورة يونس...)[٤].

القول الثاني : ذهب إليه المبرد ، وتبعه ابن عطيـة ، والـشهاب ، وبعـض المتأخرين رحمهم الله تعالى ، وهو أن آيات التحدي نزلت على غير الترتيب الـذي ذكره جمهور المفسرين ، بل إن التحدي بسورة كـما في سـورة يـونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ، وقـع

(١) انظر : البرهان للزركشي ٢/ ١١٠ ، الإتقان للسيوطي ٤/ ٤ ، مناهل العرفان ٢/ ٣٣٣ .
(٢) انظر : مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم ٣٦-٤٢ .
(٣) مفاتيح الغيب للرازي١٧/ ٢٠٢.
(٤) تفسير المنار ١٢/ ٣٢.

قبل التحدي بعشر سوركما في سورة هود ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

واستندوا في ذلك على ما قاله ابن الضريس نقلا عن ابن عباس ﷺ : " في أنه تحداهم بسورة مثله في البلاغة ، والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا ؛ تحداهم بعشر سور مثله في النظم " .

يقول ابن عطية رحمه الله : " وقد اختلف الناس في هذا الموضوع ، فقيل : دعوا إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب ، وغير ذلك من الأوصاف ، وكان ذلك تكليف ما لا يطاق ، فلما عسر عليهم خفف بالدعوة إلى المفتريات " [١] .

ووجه الجمهور الرواية بقولهم : " هب أن السورة متقدمة في النزول ، إلا أنها لما نزلت على التدريج جاز أن تتأخر بعض الآيات ومنها آية التحدي عن هذه ، ولا ينافي تقديم السورة على السورة " [٢] .

ويقول محمد رشيد رضا رحمه الله عن جواب الجمهور: " وهذا الجواب إنما يقال فيما تصح الرواية في تأخر نزوله وتقدمه ، ولا يصح بالتحكم المحض فيما هو خلاف الأصل الثابت بالنقل ، وأبعده عن التصور أن يكون في موضوع واحد في سورتين متعاقبتين...)[٣] إلى أن قال في موضع آخر:" وإنني أجزم هنا- بعد التأمل في جميع آيات التحدي ،وتاريخ نزول سورها- أنها لم يكن مراعى بها الترتيب التاريخي في مخاطبة المشركين كما زعم جمهور المفسرين ، بل ذكر كل منها بمناسبة سياق سورته ...)[٤] .

(١) المحرر الوجيز ٩/ ١١٥

(٢) انظر :المحرر الوجيز ٩/ ١١٥ معالم التنزيل للبغوي ٤/ ١٦٥ .

(٣) تفسير المنار ١٢/ ٣٣ .

(٤) المرجع السابق ١٢/ ٤٤.

القول الثالث : إن آيات التحدي ليست مرتبة ، وأن التحدي لم يكن مرحليا متدرجا . ومما يرجحه ما يلي :

١ـ أن الترتيب يحتاج إلى دليل صحيح ممن شاهدوا التنزيل ، يثبت ترتيب نزول آيات التحدي ، وهذا ما لم أقف عليه ، خاصة وأن هناك آيات مكية نزلت في سور مدنية والعكس كذلك ، فالمسألة لا تعتمد على العقل وإنما مآلها النقل ، ولا يمكن الاعتماد عليه إلى حد كبير فقد كثر الاختلاف فيه كما قلت فيه الدقة .

٢ـ أن التحدي في القرآن كان بالكيف لا بالكم والمقدار ، فاستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور أو القرآن كله ، إذ كله متعذر .

فلا أثر إذا للاختلاف في ترتيب آيات التحدي إذ جميع القرآن معجز قليله وكثيره ، والله أعلم .

المبحث السادس

القدر المعجز من القرآن الكريم

وبعد هذا العرض الموجز لمراحل التحدي بالقرآن ، فإن مما يتصل به ، الحديث عن القدر المعجز من القرآن الكريم ، فأقول :

لقد أجمع العلماء سلفا وخلفا على أن القرآن معجز إلا أنه وقع خلاف بينهم في تحديد القدر المعجز من القرآن على أقوال ، منها :

القول الأول : إن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه ، ويذهب إلى هذا القول بعض المعتزلة [١]، قال السيوطي بعد ذكره لهذا القول : " والآيتان السابقتان ترده " [٢] . ويعني بهما قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ (يونس : من الآية ٣٨) ، وقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ (هود : من الآية ١٣) .

قلت : ومما يرده أيضا أن الله تحدى بالقرآن أهل مكة أن يأتوا بمثله ، ولم يكن وقتئذ قد اكتمل نزوله .

القول الثاني : إن القدر المعجز متعلق بسورة تامة قصيرة كانت أو طويلة .

وذهب إليه أكثر العلماء . ودليله قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ وقوله : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ .

القول الثالث : إن القدر المعجز يتعلق بقدر السورة من الكلام ، فإذا كانت آية بقدر حروف سورة – وإن كانت كسورة الكوثر – فذلك معجز ، قاله الباقلاني رحمه الله ؛ مسوغا ذلك بأنه لم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .

---

(١) انظر : إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥٤، الإتقان للسيوطي ٤/ ١٧.

(٢) الإتقان ٤/ ١٧ .

القول الرابع : إن القدر المعجز يتعلق بالآيات الكثيرة من القرآن .

القول الخامس : إن القدر المعجز متعلق بقليل القرآن وكثيره ، فالقرآن كثيره وقليله معجز دون تحديد للعدد بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٤).فقوله: ﴿ بِحَدِيثٍ ﴾ مطلق يشمل القليل والكثير .

قال ابن حزم رحمه الله : " وذهب سائر أهل الإسلام إلى أن القرآن كله قليله وكثيره معجز ، وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه ، ولا صحة لهم في قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ لأنه تعالى لم يقل أن ما دون السورة ليس معجزا بل قد قال تعالى على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن ، فكل شيء من القرآن معجز " [(١)] .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذا القول هو الراجح ،وذلك أن التحدي بجنس القرآن لا بالمقدار. لذا جاء التحدي مرة بالقرآن،ومرة بعشر سور،ومرة بسورة من مثله.

ومما يرجحه أيضا قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٦) فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه – لأي جزء من كلام الله – ، ولا تكون حجة إلا وهي معجزة .

فالمقدار المعجز من القرآن هو كل ما أدى لفكرة كاملة ، سواء بمقدار القرآن كاملا ، أو عشر سور ، أو سورة واحدة ، وربما نقص عن مقدار سورة ـ وأقصر سورة هي سورة الكوثر ـ كآية ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٩) ، وربما زاد عنها كثيرا ، أو كان آية واحدة كآية الدين [(٢)] .

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٧ .

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٥٤، البرهان للزركشي ٢/ ١٠٨، الإتقان للسيوطي ٤/ ١٧، فكرة إعجاز القرآن للحمصي ٢٣ ، دراسات في علوم القرآن للرومي ٢٧٠.

المبحث السابع
الصرفة وآيات التحدي

إن مما يتصل بآيات التحدي الحديث عن الصرفة ؛ والصرفة لغة :على وزن فعلة ـ بفتح الفاء واللام وسكون العين ـ:رد الشيء عن وجهه ، يقال: صرفه يصرفه ، صرفا ، فانصرف ،وصارف نفسه عن الشيء :صرفها عنه. [١]

ويراد بها اصطلاحا : صرف العرب عن معارضة القرآن ، وسلب عقولهم عنها، وكانت في مقدورهم ، لكن عاقهم أمر خارجي ؛ فصار معجزة كسائر المعجزات ، وأول من جهر بالصرفة، ودعا إليها: إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي(ت٢٢٠هـ)[٢].

والقول بالصرفة باطل بلا شك ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو بسلب القدرة الجازمة ،وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى التام ،أوسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما ". [٣]

ولن أثبت بطلانه في هذا المبحث ؛ فإن كتب إعجاز القرآن ، بل وكتب علوم القرآن غالبا ما تتطرق لهذا القول ، وتفنده .

إلا أنني أشير هنا إلى أن العلماء يستشهدون بآيات التحدي على إنكار الصرفة، ووجه إنكاره أن الله تحدى بالقرآن نفسه ـ لمزايا وخصائص استقرت فيه تقصر طاقة البشر وقدرتهم عن مضاهاتها ـ وليس بأمر خارج عنه ، وهو

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٢٨ (مادة صرف) .
(٢) انظر: انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٩٣، الإتقان في علوم القرآن ٤/ ٤ .
(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧٩.

الصرفة. وقد تحدى الله بالقرآن أن يأتوا بمثله ، واستثار حميتهم ، وكرر التحدي والتقريع به ، ودعا إلى الاستعانة بكل من يمكن الاستعانة به ؛ للإتيان بمثله ، ولو كانوا مصروفين لما كان في هذا التحدي فائدة .

وممن أبطل القول بالصرفة بآيات التحدي الباقلاني رحمه الله ، حيث قال : " ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة : أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا ، وإنما يكون المنع معجزا ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه " (١).

وممن أبطل القول بالصرفة بآيات التحدي أيضا الخطابي رحمه الله ، حيث قال بعد ذكره لآية الإسراء: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ : " وهذه الآية الكريمة تثبت أن القوم قد أرخي لهم العنان ، ووسع عليهم في المعارضة ، ومنحوا القدرة على التعاون فيما بينهم ، فشتان بينهم وبين من سلبوا القدرة على الحركة في حال صحتهم وسلامتهم " (٢). وغيرهم من العلماء ، ولعل فيما ذكرت كفاية. وبالنقل عن هذين الإمامين ـ وهما من أشهر من ألف في إعجاز القرآن ـ يتبين أن آيات التحدي دالة على بطلان القول بالصرفة ، وقد أبطل بها غيرهم من العلماء، والله أعلم .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص ٧٧.

(٢) انظر : رسالة "بيان إعجاز القرآن" للخطابي ص ٢٣ .

المبحث الثامن
موقف العرب أمام آيات التحدي

لقد بعث الله رسوله محمدا ﷺ في وقت بلغت فيه العرب أرفع مستوى عرفته الإنسانية في الفصاحة والبلاغة والبيان ، وارتقوا في ذلك فوق جميع الأمم مراتب ظاهرة . وقد أيد الله رسوله محمدا ﷺ بآيات دالة على صدقه ، وأنه مرسل من عند ربه ، وكان القرآن العظيم معجزته الخالدة ، وقد فاجأ القرآن العرب بما لا قبل لهم به ، فبهتهم وحيرهم (ومع أن القرآن قد ذكر آباءهم بغير ما يحبون ، وذكر أوثانهم بغير ما يؤمنون،لم يتحركوا لأن يقولوا مثله ، وأذعنوا لبلاغته وقوته ... وأن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثله ؛ فما فعلوا ، بل ما تحرك العقلاء فيهم لأن يفعلوا ، حتى لا يسفوا في تفكيرهم ، وهم أمام رجل كبير في قومه وعقله ، ومعه آيات الله تعالى ، فدل هذا على عجز مطلق) [١] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وأشهر معجزات النبي القرآن ، لأنه ﷺتحدى به العرب ـ وهم أفصح الناس لسانا ، وأشدهم اقتدارا على الكلام ـ بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له ، وصدهم عنه " [٢] .

وعجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثابت ثبوتا لا مجال للريب فيه ، فقد تواترت الأخبار واتفقت عليه الأمصار .

ومما يدل على عجزهم نكوصهم عن معارضته مع استمرار التحدي لهم مدة طويلة ، ولو أنهم كانوا قادرين على المعارضة لما عدلوا عنها وخاضوا الحروب ضد النبي ﷺ بديلا عنها ، وأن محاولة مسيلمة الكذاب على المعارضة

(١) انظر : المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص ٧٢.

(٢) انظر : فتح الباري ، كتاب المناقب باب ٢٢ .

تبين مقدار إدراك العرب لعجزهم ، إذ لم يحاولوا المجاراة حتى لا يسفوا، ويكونوا أضحوكة بين الناس ،وموضع سخرية يسخرون بعقولهم .

يقول القاضي عياض رحمه الله : "لم يزل ﷺ يقرعهم أشد التقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط أعلامهم ، ويشتت نظامهم ، ويذم آلهتهم وإياهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب ، والاغترار والافتراء ، وقولهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ (المدثر: ٢٤) ، و ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ (القمر:٢)، و﴿إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ (الفرقان:٤) ، و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (في سور منها:الأنعام:٢٥)، والمباهتة والرضا بالدنيئة،كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ (البقرة: ٨٨)، و﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ (فصلت: ٥) ،و﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦) ، والإدعاء ـ مع العجز ـ بقولهم:﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ (الأنفال:٣١) ،وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ (البقرة:٢٤) . فما فعلوا وما قدروا .

ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة الكذاب ، كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم ـ والله ـ ما ألفوه من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الخبرة منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ، ولا جنس بلاغتهم ، بل ولوا عنه مدبرين ، وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون "(١) .

ومن سياق الأخبار المتواترة يتضح أن عجزهم اقترن بأمور :

١ـ إعجابهم بعلوه أن يصل إليه أحد من البشر . فهذا الوليد بن المغيرة يقول عن القرآن ـ مع كفره وعناده وشدة عداوته ـ : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني ، أعرف رجزها وقصيدها ، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٢١٩ .

ذلك ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، ما يقول هذا بشر . [(١)].

وقد قال ذلك الوليد بن المغيرة في مجمعهم فما أنكروا عليه ذلك ولكنهم أنكروا الإيمان به .

٢ـ أنهم ومع شركهم واستكبارهم ينجذبون إليه ويريدون أن يسمعوه . فروى ابن إسحاق قال حدثني الزهري ، قال : حدثت أن أبا جهل ، وأبا سفيان ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل منهم مجلسا ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا .فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله ! لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها . فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ ، فقال : ماذا سمعت ؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره(٢٢/ ٤٢٩ سورة المدثر) وغيره ، وكان هذا سبب نزول آيات من سور المدثر .

وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله ! لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الأخنس بن شريق [١] .

٣ـ أن القرآن كان سببا في دخول بعضهم الإيمان حين عرفوا إعجازه ؛ فقد سجل لنا التاريخ عددا من الصحابة الذين كانوا على جاهلية فلامس القرآن شغاف قلوبهم ، وملك أفئدتهم وعقولهم فعرفوا أنه الحق وآمنوا به ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ﷺ حديثا طويلا عن إسلامه وفيه : أن أنيسا أخا أبي ذر ذهب إلى مكة ثم عاد فقال لأبي ذر : (لقيت رجلا بمكة على دينك . يزعم أن الله أرسله . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة . فما هو بقولهم . ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر[٢]. فما يلتئم على لسان أحد بعدي ، أنه شعر . والله ! إنه لصادق . وإنهم لكاذبون . قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر . وآمن ...) [٣].

وسمعه جبير بن مطعم فتأثر به فآمن ، أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن محمد بن جبير عن أبيه قال سمعت النبى ﷺ يقرأ في المغرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) [٤] .

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق، فقرة ٢٣٢، ص١٦٩، تحقيق محمد حميدالله، مطبعة محمد الخامس، المغرب، سنة ١٣٩٦. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣١٥، تحقيق السقا وآخرون .

(٢) أقراء الشعر : طرقه وبحوره .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي ذر رضي الله عنه ح ٢٤٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازى باب ٩ ح ٣١٨١ .

والطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه شاعر يفرق بين الكلام الحسن والكلام الرديء، سمع القرآن فآمن به ، وغيرهم كثير [1] .

فعجز العرب الكافرون الفصحاء عن معارضة القرآن ، ولم يتمكنوا من الإتيان بما طلبه الله منهم حينما تحداهم ، وإذا ثبت عجز العرب فهو عجز لغيرهم إذ هم أهل الفصاحة والبيان فغيرهم أحرى وأولى ، لذا تتابعت القرون وظل الإعجاز القرآني راسخا كالطود الشامخ تذل أمامه الأعناق لا تتفكر في أن تدانيه فضلا عن أن تساميه ، لأنها أشد عجزا وأقل طمعا في هذا المطلب العزيز ، وسيظل هذا الأمر إلى يوم الدين [2] .

(١) انظر : المعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة ص ٧٦ .

(٢) انظر : النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨٣ وما بعدها ، فقد استعرض عجز العرب الأول أثناء نزول القرآن ومن بعدهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن .

المبحث التاسع
معارضة القرآن

وبعد أن عرفت ـ أيها القارئ الكريم ـ من المبحث السابق عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم ، حين تحداهم الله في ذلك ، رأيت أن أسوق لك أن التأريخ قد ذكر عن أناس لهم بعض المحاولات لمعارضة القرآن " فجاءوا في معارضة القرآن بكلام لا يشبه القرآن ، ولا يشبه كلام أنفسهم ، بل نزلوا به إلى ضرب من السخف والتفاهة باد عواره ، باق عاره وشناره : فمنهم عاقل استحيا أن يتم تجربته ، فحطم قلمه ومزق صحيفته ، ومنهم ماكر وجد الناس في زمنه أعقل من أن تروج فيهم سخافاته ، فطوى صحفه وأخفاها إلى حين ، ومنهم طائش برز بها على الناس . فكان سخرية للساخرين ومثلا للآخرين. فمن حدثته نفسه أن يعيد هذه التجربة مرة أخرى فلينظر في تلك العبر ، وليأخذ بأحسنها. ومن لم يستحي فليصنع ما شاء " [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وقد انتدب غير واحد لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب..." [٢].

وهذه المحاولات لمعارضة القرآن لم أكن أود أن أسود بها هذا البحث ، لولا أن ذكرها يبين مقدار إدراك المشركين ، إذ لم يحاولوا المجاراة ، حتى لا يسفوا ويكونوا أضحوكة بين العرب ، وموضع سخرية يسخرون بعقولهم . كما أن ذكرها يبين مدى قدرة البشر على المعارضة ، إذ إن (ما أتوا به باسم المعارضة ، لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة مخجلة : أخجلتهم أمام الجماهير ، وأضحكت الجماهير منهم ، فباءوا بغضب من الله ، وسخط من الناس ، وكان

(١) النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ص ٨١.

(٢) انظر :الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٤/ ٨١ .

مصرعهم هذا كسبا جديدا للحق ، وبرهانا ماديا على أن القرآن كلام الله القادر وحده ، لا يستطيع معارضته إنس ولا جان ، ومن ارتاب فأمامه الميدان) [1] .

فيذكر التاريخ عن مسيلمة الكذاب قوله معارضا القرآن : " يا ضفدع بنت ضفدعين . نقي ما تنقين . نصفك في الماء ونصفك في الطين. لا الماء تكدرين. ولا الشارب تمنعين " .

وقوله : " والليل الدامس . والذئب الهامس . ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس " .

وقوله : " الفيل . ما الفيل . وما أدراك ما الفيل . له ذنب وبيل . وخرطوم طويل " [2] .

ونظرا لاحترامي لذوقك الرفيع - أيها القارئ الكريم - فإني أكتفي بما ذكرت . (وأنت خبير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من المعارضة في قليل ولا كثير ، وأين محاكاة الببغاء من فصاحة الإنسان ، وأين هذه الكلمات السوقية الركيكة من ألفاظ القرآن الرفيعة ، ومعانيه العالية ؟ وهل المعارضة إلا الإتيان بمثل الأصل في لغته ، وأسلوبه ومعانيه أو بأرقى منه في ذلك ؟) [3] .

وإن كان بعض المحققين المتأخرين [4] قد شكك في ثبوت معارضة مسيلمة وغيره من العرب للقرآن بحجة تقدم هؤلاء في الفصاحة والبيان ومعرفتهم بعجزهم البالغ أمامه . وقالوا : إن ما روي لم يصدر منهم وإنما أوردها الإخباريون من المسلمين ليسخروا بهؤلاء ، ويستهزئوا بهم .

قلت : ولا أرى أنني في حاجة ماسة لمناقشة هذا القول وإبطاله إلا أنني أقول : إن من ادعى النبوة لم يستغرب عليه القول من مثل هذا ، وسلك كل سبيل - ولو كان مخالفا لطبيعته وسجيته - من أجل أن يثبت ما ادعاه .

---

(١) انظر : مناهل العرفان ٢/ ٣٥٧ .

(٢) انظر :الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٤/ ٧٦-٧٧.

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) وممن قال بذلك: د.صلاح الخالدي في كتابه إعجاز القرآن البياني ص ٧٧ .

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث أسطر ملخصا له ، وأهم نتائجه :

١ـ جمعت فيه جميع آيات التحدي ، والتي تحدى الله بها الإتيان بمثل هذا القرآن ، أو بعضه ، وقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس سور منه : في سورة البقرة ، وفي سورة يونس ، وفي سورة هود ، وفي سورة الإسراء ، وفي سورة الطور .

٢ـ تم معرفة أقوال العلماء في المتحدى بهم في تلك الآيات ، وأن الراجح أن جميع الثقلين متحدون بالإتيان بمثل هذا القرآن إلى قيام الساعة .

٣ـ أن آيات التحدي جاءت بعد أن طعن المشركون في القرآن وشككوا فيه ، كما جاءت لإلزامهم الحجة وقطع المعذرة . وإلا فالقرآن خارج عن مقدور البشر ، لا يمكن أن يأتوا بمثله .

٤ـ ذكرت فيه أقوال العلماء في مراحل آيات التحدي وترتيب آياتها ، وأن الراجح أن التحدي لم يكن مرحليا متدرجا .

٥ـ بينت فيه أقوال العلماء في القدر المعجز من القرآن ، وأن الراجح أن القدر المعجز متعلق بقليل القرآن وكثيره ، دون تحديد للعدد .

٦ـ بينت فيه وجه استشهاد العلماء بآيات التحدي على إبطال القول بالصرفة .

٧ـ ذكرت فيه عجز العرب عن معارضة القرآن مع فصاحتهم وبلاغتهم ، بل وإعجابهم بفصاحته وبيانه ، وانجذابهم له ، وتأثر كثير منهم به ، مما يدل على أن القرآن من عند الله .

٨ـ ذكرت فيه بعض المحاولات لمعارضة القرآن الكريم . والتي دلت على إعجاز القرآن ، إذ إن تلك المحاولات أصبحت للسخرية والتندر بقائليها.

٩- أن الله تحدى بالقرآن الكريم جميع الثقلين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فما فعلوا ولن يفعلوا ، وقد تحدى الله المشركين ، وهم أهل الفصاحة والبيان، وعلى شدة كراهيتهم لمحمد ﷺ ولما جاء به، فما استطاعوا ذلك ، فدل عجزهم على أن القرآن من عند الله .

هذه أهم نتائج البحث ، وقد بذلت فيه ما استطعت من جهد ووقت، إلا إنني كلي أمل بأن يلاقي البحث قارئا كريما ، يقبل صوابه ، ويصوب خطأه ، ويعفو عن زلله .

والله أسأل أن يكون ما كتبت خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لهداه ، وأن يجعل عملنا في رضاه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٥هـ .
٢. إعجاز القرآن ، للباقلاني ،تحقيق السيد صقر ، دار المعارف بمصر .
٣. إعجاز القرآن الكريم،فضل حسن عباس،دارالفرقان،ط ١٤٢٧،٦.
٤. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ،د.صلاح الخالدي ، دار عمار ، الأردن ، ط الأولى١٤٢١ .
٥. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي.
٦. البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩١م .
٧. تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق السيد صقر ، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٤٠١هـ .
٨. التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر.
٩. تفسير الطبري = جامع البيان
١٠. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الدمشقي ، تقديم يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧ .
١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، ط الأولى ١٤١١.
١٢. تقييدات في إعجاز القرآن ، د.محمد الشظيفي ، دار ابن عفان ، السعودية الخبر ، ط الأولى ١٤١٨.
١٣. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي والجرجاني .
١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ،تحقيق: د.عبدالله التركي،هجر للطباعة والنشر،ط الأولى ،١٤٢٢.
١٥. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، ط الثانية، ١٣٧٢هـ .

١٦. جمال القراء وكمال الإقراء ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق علي البواب ، مطبعة المدني ، ط الأولى .

١٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،تحقيق مجدي سالم،توزيع مكتبة البلد الأمين بجده،ط الأولى ١٤١٤هـ .

١٨. دراسات في علوم القرآن الكريم ، د.فهد الرومي ،مكتبة التوبة في الرياض ، الطبعة الثامنة ،١٤٢٠ .

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن ، لمحمود الألوسي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض اليحصبي ، دار التراث ، القاهرة .

٢١. صحيح الإمام البخاري ، مطبوع مع فتح الباري ترقيم عبد الباقي.

٢٢. صحيح الإمام مسلم ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٣. علوم القرآن بين البرهان والإتقان ، د.حازم سعيد ،دار الزمان ، المدينة المنورة ، ١٤٢٠ .

٢٤. غرائب التفسير ، للكرماني ، دار القبلة ، ط الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ،دار المعرفة ، بيروت .

٢٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهري ، تحقيق د.عميرة ، جدة ، ١٤٠٢ .

٢٧. فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر ، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية .

٢٨. القرآن يتحدى ، أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط الأولى ١٣٩٧.

٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، مؤسسة المعارف،بيروت ، ١٤٠٦هـ .

٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق الأنصاري وزملاؤه ، ط القطرية .

٣١. معالم التنزيل ، للبغوي ، تحقيق النمر وزميليه ، دار طيبة ، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩.

٣٢. المعجزة الكبرى ، لمحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .

٣٣. مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط الثالثة .
٣٤. مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، دار الكتب العلمية،بيروت ، ط الأولى ١٤٠٩هـ .
٣٥. النبأ العظيم ، محمد عبدالله دراز ، دار القلم .